خطاب الثورة الإسلامية، مجلة فصلية محكمة
المجلد١* العدد ١* الرقم المسلسل للعدد ١* ربيع ٢٠٢٤* صص ٨١- ١٠٧

دراسة مكونات القوة والروحانية السياسية لدى الثورة الإسلامية

علي‌رضا كلانتر مهرجردي*[١]، زينب أصغريان[٢]

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/١٢/٢٠ تاريخ القبول: ٢٠٢٤/٠٣/٠٢

الملخص

بالنسبة لمكونات القوة الروحية للثورة الإسلامية، نظراً لمنطق سوسيولوجية القوة، فيمكن القول إن مكونات مختلفة تلعب دوراً في نشوء القوة. ويعتبر البعض أن القوة محدودة في أبعادها المادية، ولكن في ظل التطورات المعاصرة، فلطالما أصبحت مناقشة نوع مختلف من القوة، إلى جانب القوة الصلبة، محط اهتمام العلماء. إن القوة الناعمة هي مفهوم صاغه جوزيف ناي لوصف هذا النوع من القوة. واليوم يلجأ الغرب المتغطرس إلى هذا النوع من القوة لتحقيق أهدافه ويستغله. إن القوة الناعمة للثورة الإسلامية تقوم على الروحانية وتختلف عن القوة الناعمة التي يؤكد عليها الغرب. لم يتم إيلاء الاهتمام بشكل كاف لموطن القوة هذا للثورة الإسلامية. وقد تناول ميشيل فوكو موطن القوة هذا. ويرى فوكو أن المذهب الشيعي الثوري يوفر إمكانية ممارسة الحرية بسبب وجود مقاربات باطنية. وبحسبه فإن الروحانية التي يطرحها الإيرانيون «هي البحث عن شيء خسرنا نحن الغربيين إمكانية تحقيقه بعد النهضة والأزمة الكبرى للمسيحية». هو اقترب من

١. أستاذ مساعد في الجهاد الجامعي في طهران، طهران، إيران (الكاتب المسؤول).
kalantarmehrjerdy975@yahoo.com
٢. طالبة دكتوراه في العلوم السياسية، الجامعة الإسلامية الحرّة، مشهد، إيران.
nabsorush1@gmail.com

طبيعة الثورة الإيرانية إلى حد ما. يرمي هذا المقال إلى شرح المقومات الأساسية للقوة الناعمة انطلاقا من بيان الخطوة الثانية وتفكير إمامي الثورة الإسلامية وفق منطق سوسيولوجيا القوة. يعتمد هذا البحث على منهج نوعي ودراسات مكتبية، ومع لمحة عن نظريات فوكو حول الثورة الإسلامية، فيؤكد هذا البحث على عناصر مثل الإسناد الإلهي، والقيادة، والمقاومة ضد المتغطرسين في العالم، والحرية الروحية، والإرادة الشعبية، وحب الشهادة.

الكلمات المفتاحية: القوة، الروحانية، الثورة الإسلامية، فوكو، القوة الناعمة.

مقدمة

إن خطاب الليبرالية يبتعد بمسافة كبيرة عن الروحانية. ومنذ ابتعاد الغرب عن الكنيسة، خسر الغرب أيضاً نصف روحانيته المستعارة. وأزمة المعنى في الكتلة الغربية تظهر أنه على الرغم من كل ريادة الدول الصناعية في مجال نمو العلوم وتطورها، إلا أن هذه الدول لم تتمكن أبدا من سد الوجود الزائف لهذا العنصر القوي في هويتها.

ولكن بفضل الإمام الخميني تمكنت الثورة الإسلامية من الدمج بين الارتباط والمعنى. وفي دين الإسلام الحنيف يعتبر التوحيد والحركة الإلهية كقطب مغناطيسي قوي في مركز جاذبية الكون، وكلما زاد ارتباط الإنسان بهذا القطب الذي لا يمكن إنكاره، كلما تتعمق التأثيرات. قام الإمام الخميني (ره) كقائد عظيم، بتطوير الثورة الإسلاميه الروحية ليس فقط في المجال الفردي ولكن أيضا في المجال الاجتماعي وخطا خطوات في مجال التربية الإنسانية. وخلافاً لكل التأويلات والانطباعات عن القوة، قدمت الثورة الإسلامية للعالم نوعاً جديداً من القوة، يمكن تسميتها «القوة الروحية»، والتي توجد أنقى صورها في المذهب الشيعي، وقد قدمها الإمام الخميني (ره) للعالم. إن مؤسس الثورة الإسلامية، وهو من أعظم القادة الروحيين في العالم، حاول رسم الروحانية في هيكل الحكومة مع تجنب احتكار الدلالة في المجال الفردي ومن خلال إعادة قراءة المعنى الجديد للقوة، قام بربط هيمنة الثورة بالمصادر الإسلامية والطبيعة الإسلامية.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: ما هي المكونات الأساسية للروحانية السياسية لدى الثورة الإسلامية، وفي اللرد على ذلك، يجب أن يقال: الإسناد الإلهي والقيادة والمقاومة ضد متغطرسي العالم، والحرية الروحية، والإرادة الشعبية، وحب الشهادة هي المكونات الرئيسية للروحانية السياسية للثورة الإسلامية.

أهمية وضرورة البحث

من أهم القضايا المتعلقة بالقوة هو دراسة جوانبها المختلفة، وفي كثير من المفاهيم السوسيولوجية يعد عنصر القوة من أهم المفاهيم الأساسية التي تؤثر على الجماعات والشرائح الداخلية للمجتمع. وعليه فإن معرفة الأبعاد المجهولة للقوة هي أيضاً أمر ضروري جداً. وبالمناسبة، فإن القوة الروحية تنفرد بها الثورة الإسلامية، وفي الحكومات الأخرى يكون هذا النوع من القوة أقل وضوحا بسبب بعدها عن الروحانية. ومن المؤسف أن هذا النوع من النظرة حظي باهتمام أقل ويبعد عن المفاهيم الشائعة بين الأشخاص في المشهد السياسي، ورغم أنه مفهوم عميق وملفت للنظر للغاية، إلا أنه حظي باهتمام بشكل أقل. لم يستعرض العديد من المحللين ومعاهد البحوث السياسية هذا النهج السياسي والاجتماعي.

أهداف البحث

وفي هذا البحث تم اعتبار القوة الروحية بمثابة البعد الرابع للقوة، ومن خلال احتذاء مفهوم الروحانية السياسية نسعى لايلاء الاهتمام الجاد بهذا البعد من القوة ودراسته باعتباره بعداً مهملاً للقوة، وذلك نظراً لتفكير إمامي الثورة. إن دراسة نوع اختلاف الثورة الإسلامية في مفهوم القوة وخاصة القوة الناعمة من أهم الأهداف التي تم تحليلها في هذا البحث.

خلفية البحث

لقد تم نشر العديد من المواضيع المتعلقة بموضوع القوة الناعمة. وفي هذا السياق يمكن الإشارة إلى مقال معنون بـ«القوة الناعمة للثورة الإسلامية والصحوة الإسلامية في إيران» والذي كتبه عباس علي رهبر.

إن المقال المعنون بـ«مكونات القوة الناعمة للثورة الإسلامية في إيران»، بقلم

أحمد متقي زاده، هو مقال آخر حول القوة الناعمة. إن «القوة الناعمة للثورة الإسلامية في إيران ونظرية التصدير الثقافي للثورة» جدير بالاهتمام أيضًا في مجلة البحوث الفصلية للثورة الإسلامية، العدد ٤، الخريف.

كما تم نشر مقال «النموذج التحليلي للقوة الناعمة للجمهورية الإسلامية الإيرانية في العالم الإسلامي» في فصلية الفكر السياسي.

إن المقال المعنون بـ«الخطاب الروحي للثورة الإسلامية وإعادة إنتاج القوة الناعمة مع التركيز على الروحانية» قد نشر في الفصلية العلمية لأبحاث الثورة الإسلامية.

كما أن المقال المعنون بـ «القوة الروحية في الثورة الإسلامية مع التركيز على فكر الإمام الخميني (ره)» يعتبر مقالا بارزا آخر في مجلة أبحاث الثورة الإسلامية في هذا المجال.

لكن إبداع المقال الذي في متناول أيدينا أي المقال «مكونات القوة والروحانية السياسية في الثورة الإسلامية» يكمن في أنه أولى اهتماما جديا لعامل الروحانية كبُعد واهتم به كأحد عوامل خلق القوة.

وعلى الرغم من الأهمية الكبيرة لموضوع القوة، نظرا لأن كل من «الروحانية السياسية» و«القوة الروحية» مفهومين لا مثيل لهما في مجال العلوم السياسية، إلا أنهما لم يحظيا بالقدر الذي ينبغي من الاهتمام بهما.

ربما يمكن القول إن أهم المنظرين في هذا المجال هو «ميشيل فوكو» الذي يحاول في تحليله دراسة أبعاد الروحانية السياسية للثورة الإسلامية. وهو أحد أكثر المفكرين تأثيرا الذين ينظرون إلى موضوع الثورة الإسلامية بنظرة جديدة. إن عالم الاجتماع والفيلسوف الفرنسي هذا، جرى الحديث عن الثورة الإسلامية في العديد من الكتب والمقالات. كما تناول الكتاب «ميشيل فوكو والثورة الإسلامية» نظريات هذا المفكر (تاجيك، ١٣٧٩). كما كتب بهروز قمري في كتابه الذي يحمل عنوان

«فوكو في إيران» مقالات فوكو بعد رحلته إلى إيران. (قمري، ١٣٧٨)

يعتمد أسلوب هذا المقال على المقالات والكتب وعلى شكل الجذاذات والدراسات المكتبة. إن الأدب النظري المستخدم هو «رؤية فوكو النقدية» ضمن موضوع «الخطاب»، وجرى استخدام بيان الخطوة الثانية كركيزة أساسية لدراسة المكونات الرئيسية للروحانية السياسية في الثورة الإسلامية.

ولذلك فإن هذا المقال يلقي نظرة خاطفة على نظريات فوكو الخطابية ويهتم بالبعد الرابع للقوة، مع التركيز على فكر الإمام الخميني (ره) وقائد الثورة في سياق الدال المركزي لهذا البعد.

ثورة الروحانية

لقد اندلعت الثورة الإسلامية في وقت كانت فيه الروحانية في العالم فقدت رونقها، وقام الإمام الخميني (ره) بإعادة تصميم الروحانية من خلال ضخ دماء جديدة في جسد العالم الهامد. الثورة التي تحدت الخطابات الرسمية للعالم وأظهرت حريتها الروحية أمام الرؤى الكونية الشرقية والغربية. لقد اعتقد نيكولو مكيافيلي بحق في كتاب مقولاته أن إنشاء قواعد وأنظمة سياسية جديدة لا يقل خطورة عن اكتشاف البحار والأراضي المجهولة. وقد جازف المؤسس العظيم للثورة كيسوع ونفخ روحه المسيحانية في الأجساد الهامدة للمجتمعات البشرية. إن الثورة الإسلامية، التي تعتبر من أعظم الثورات في العالم، أظهرت خطأ العديد من التحليلات. لقد عجزت الأجهزة الأمنية الشهيرة في العالم عن اندلاع مثل هذه الانتفاضة الشعبية الضخمة و وقفت متحيرة بكسر الأسس هذا.

لقد كانت الثورة في إيران هي التي أضافت مفاهيم جديدة إلى موسوعة الخطاب الاجتماعي وتحدت النظام الاجتماعي القائم. لا يزال البعض لا يصدق أن هذه

الثورة، دون دعم من أي قوة عالمية وبشكل مستقل بامتياز، واجهت انفصال العالم عن الروحانية وحققت الحرية الروحية. كما عاد الدين باعتباره الدال الرئيسي للحكومة إلى المركز الشامل وتم تقديم تفسير جديد للدين المتعالي والتقدمي. فها هو نفس الدين الذي كان يعتبر محايدًا وفارغًا وغيرفاعل وغاب عن مجال التأثير لسنوات عديدة فتحرك كعامل إنقاذ البشرية لإنقاذ الناس.

في وقت لم يدرك العديد من المحللين بعدُ قوة الروحانية السياسية للثورة الإسلامية بعد مرور أربعة عقود، لكننا نشهد تأثيرها الروحي على المستوى الدولي. وهو موضوع يمكن أن نسميه «تأثير الفراشة للثورة الإسلامية» والذي يقوم على هذا الأساس.

الإطار النظري: خطاب القوة عند فوكو والروحانية السياسية للثورة الإسلامية

يرسم فوكو نوعاً من القوة من الثورة الإسلامية التي نشأت من حضن الإسلام، وهو أمر نسيته المسيحية منذ الأزمات الكبرى في العصور الوسطى. وبحسب اعتقاده فإن «هذه الروحانية السياسية»، باعتبارها المحور والقطب الرئيسي للثورة الإسلامية الإيرانية، ترجع إلى العقلانية التي يكون للروحانية فيها نصيب ومكان كبير.

لقد كانت الثورة الإسلامية في إيران ثورة ثقافية وتأثرت بشدة بالإسلام. ومن بين أنواع وجهات النظر حول هذه الثورة، اعتمد بعض المفكرين مقاربة ثقافية لدراسة هذا النوع الجديد من الحكم. هذا النوع من المقاربة، الذي يمكن رؤية نوعه المرن عند ميشيل فوكو، يمكن أن يكون مزيجًا من الروحانية والبعد الرابع للقوة. هذا المفكر الفرنسي ما بعد الحداثي، الذي واجه حدثا غريبا اسمه الثورة الإسلامية أثناء استكشاف أبعاد مختلفة للقوة، سافر إلى إيران لاستكمال تجاربه ويذكره بعظمة في مذكراته ومقالاته. ويعتقد أنه في إرادة جميع أفراد الأمة بتعددية وعظمة الأمة الإيرانية، بغية تحقيق حكومة إسلامية، هناك هذه الرغبة والأمنية في أن الإيرانيين يسعون إلى الجمع بين «نظام جديد من الحقيقة» و«نوع حديث من الحكومة»، وهم

يسعون وراء «الروحانية السياسية»، ويحاولون شق طريق للروحانية في السياسة.

يرى فوكو أن القوة مفهوم متعدد الأبعاد والأوجه. الوجه الأول للقوة هو ذلك الذي اقترحه روبرت دال، فهو ومن خلال منهج سلوكي يعرف القوة بأنها السيطرة على السلوكيات. والجانب الثاني منها هو المفهوم الإصلاحي للمصالح، بحيث يعتبر أن المصالح لا تشمل المطالب والتفضيلات فقط؛ بل تشمل مواضيع مثل تفصيل حالة المهمشين والمستبعدين في الأنظمة السياسية. كما يقوم الوجه الثالث للقوة على مفهوم جذري متطرف للمصالح، ومن منظور هذا الوجه للقوة، فالمصالح تشمل المطالب والتفضيلات وغيرها من الأمور التي تتحقق في ظل ظروف الاختيار المميزة؛ أي حكم ذاتي واستقلال المختار.

وفي استنتاج عام، يميز ميشيل فوكو ثلاثة وجوه للقوة، أي القوة الخطابية، والقوة التنظيمية أو الانضباطية، والقوة المطلة على الحياة. إن الوجه الخطابي للقوة لدى فوكو هو في الواقع الوجه «الهوبزي» للقوة، أي تركيزها في يد صاحب السيادة.

يرى فوكو أن هذه الثورة هي نتيجة مواجهة الوجه الرابع الناعم مع الوجه الأول الصلب للقوة. ويوضح في كتاباته أنه كيف يقف الوجه الرابع للقوة في مسيرة الثورة الإسلامية أمام وجوهها الأولى ويتغلب عليها. هذا الوجه من القوة غير ملموس وغير محسوس ولا مركزي ومشتت. وبتعبير آخر، من خلال ملصق وكلمة وكلام وكتاب ونص وشعار، وبشكل ملخص، من كتاب ليلي وعلامة؛ تظهر قوة لا تستطيع القوة المركزية والمادية والواضحة للنظام البهلوي مواجهتها. وهذا هو نفس وجه القوة الذي كان له ولا يزال انعكاسًا جديًا في ما بعد الحداثة.

يكتب فوكو: «اليوم، لم تعد العواطف كافية لإسقاط الحكومات، لا بد من امتلاك الأسلحة واللجان والمنظمات والاستعداد، لكن هناك شيئا فيما يتعلق بأحداث إيران يثير دهشة المراقبين اليوم، شيئا ليس موجودا في الصين، ولا يمكن

العثور عليها في فيتنام ولا في كوبا؛ إنها موجة ضخمة بلا سلاح، بلا رواد، بلا حزب». وبهذه التفسيرات يعتبر فوكو النظام البهلوي المسلح والحاكم مثالا للوجه الأول والصلب للقوة ويعتبر قوة الحراك مثالا للوجه الرابع أي القوة الروحية.

يرى فوكو أن هذه الثورة هي نتيجة مواجهة الوجه الرابع الناعم مع الوجه الأول الصلب للقوة. ومن أهم سمات الوجه الرابع للقوة من وجهة نظر فوكو هو انتشارها وتشتيتها وغليانها من المجموعات الصغيرة؛ بمعنى أن هذا النوع من القوة مخفي في كل ظاهرة وموضوع، وخلال الحركة الثورية للشعب الإيراني، يمكن أن يكون عدد كبير من هذه العلامات والظواهر والأشياء والأفكار، التي تصبح مصدر إنتاج القوة، يمكن رؤيتها. القوة التي تغلي من ملصق تغلي من خطاب وحتى كلمة، القوة التي تأتي من قصيدة أو كتاب أو نص أو حتى من كتاب ليلي! هذا الوجه من القوة ارتفع من الأسفل وصمد وانتصر على القوة المركزية والمادية والصلبة لنظام الشاه. (اركلج، ١٣٧٩)

أكثر من أي شيء آخر، يعتبر فوكو أن مصدر وأصل ظهور الوجه الرابع هو الدين. هو يعتبر الروحانية في السياسة وفكر الحكومة الإسلامية والتعاليم الشيعية والمراسيم والطقوس الدينية ورجال الدين المكافحين كأهم مصادر الوجه الرابع للقوة. هو يكتب في إحدى مذكراته:

لا أحب أن أسمي الحكومة الإسلامية «فكرة» أو حتى «غاية». ولكن باعتبارها «مطلب سياسي» لقد أثرت فيّ، لأنها محاولة لتسييس بعض الهياكل الاجتماعية والدينية المترابطة من أجل الاستجابة لبعض قضايا اليوم؛ لقد أثرت عليّ لأنه جهد لكي تتمتع السياسة بالبعد الروحي. ماذا يعني بالنسبة للأناس الذين يعيشون على هذه الأرض البحث عن شيء فقدنا نحن الغربيين إمكانيته بعد النهضة والأزمة المسيحية الكبرى: البحث عن الروحانية السياسية؟ (تاجيك، ١٣٧٧، ص ٢٥)

في المقابلة عندما «كلير بيري» و«بيير بلانش» (مراسلي صحيفة ليبراسيون) سألاه عما إذا كان ينبغي لنا أن نغضب ونخاف من ثورة رجعية أو استبداد ديني؟ قال فوكو: «لا شك أن ثورة إيران تعتبر ثورة، لأنه عبارة عن انتفاضة الأمة كلها ضد القوة الظالمة لها»، لكن في الوقت نفسه فإن الغرب «لا يعترف بالثورة إلا إذا لاحظ ديناميكيتين فيها» وهذان العنصران هما «الصراع الطبقي» أو الصدامات الاجتماعية والثاني «وجود قوة قيادية» أو طبقة أو حزب أو أيديولوجية سياسية وبكلمة واحدة، قوة طلائعية قادرة على تعبئة الأمة بأكملها» ولأنه لا توجد عناصر يقبلها الغرب في هذه الثورة، فبالتالي الغرب يحاول أن يتخذ موقفا ضدها. بهذه الكلمات، ينوي فوكو القول إنه لا يمكننا تقييم الثورة الإيرانية بالمعايير الموجودة في الغرب. (سرخوش، ١٤٠١، ٥٦٤)

وبالطبع، فقد أشار إلى نقطة محددة. ومن أجل الحفاظ على النظام الإيراني، حاولت أمريكا حتى اللحظة الأخيرة الحيلولة دون انتصار الثورة الإسلامية. ويمكننا أن نشير على سبيل المثال إلى تصريحات برويز راجي (السفير الإيراني في بريطانيا) الذي قال: «[٨ /١٠/ ١٣٥٧] في نشرة الأخبار الساعة الثامنة صباحاً، من بي بي سي سمعت ما يلي: «... أعلن الرئيس كارتر أنه قرر إرسال حاملة طائرات إلى الخليج الفارسي... ولا شك أن نية كارتر من هذا الإجراء هي تخويف الشعب الإيراني». (راجي، ١٣٨٧، ص ٣٦٣)

النقطة المهمة هي أن الإدارة الأميركية حاولت جاهدة خلال هذه الأيام إبقاء الجيش على الساحة من أجل مصالحها وبقاء الشاه. ولذلك أرسل الجنرال هايزر إلى إيران لتقديم تحليله. ورغم أن تحليله غير الواقعي تسبب في تعرض الولايات المتحدة لخطأ في الحسابات، ورغم أن سوليفان (السفير الأميركي في إيران) قدم تقارير أكثر تفصيلا، إلا أن البيت الأبيض لم يولي أهمية بذلك. ووصفت السفارة

الأمريكية الجيش الإيراني بـ«النمور الورقية» في برقية أرسلتها. ووفقاً لتحليل سوليفان، فإن الجيش الإيراني ليس لديه قوة وهو على استعداد للتفكك. لقد فر عدد كبير من العسكريين، وبمجرد أن يصبح الوضع أكثر صعوبة، سيتجهون جميعاً إلى الشريحة الدينية، وإذا عاد الإمام إلى إيران، فإن الجيش بأكمله سيتجه إليه. (هايزر، ١٣٦٥، ص ٢٦٤)

كما جاء في تقريرسوليفان السري بتاريخ ٢١ سبتمبر ١٩٧٨ في هذا الصدد: «إن قسمًا كبيرًا من الشرائح الفقيرة في المجتمع هم من أتباعه [الإمام الخميني] ويشكون إليه من وضعهم الاقتصادي والاجتماعي. فالفساد، وعدم المساواة، وارتفاع التوقعات، كلها مشاكل ناجمة عن برامج الشاه للتنمية الاقتصادية والإصلاح الاجتماعي ذات التوجه الغربي والتي بدأت في عام ١٩٦٣. وبما أن الساخطين ليس لديهم الكثير ليخسروه، وبما أنه ليس هناك الكثير مما يمكن فعله من جانب رجال الدين المعتدلين [آية الله شريعتمداري وأتباعه]، فإن هذه المجموعة سوف تنجذب قريبا إلى قيادة آية الله الخميني، الذي يدعو إلى الإطاحة بالشاه وتقويض النظام الحالي».

يقول الجنرال هايزر في مذكراته: «أنا متأكد من أننا لو لم نفقد علاقاتنا الوثيقة مع إيران وكانت تستمر تلك الدولة في تعزيز قوتها العسكرية، لما كان من الضروري بالنسبة لنا أن ننفق الكثير لنشر قوات الدعم السريع في الخليج الفارسي. كان يمكن للقوات الإيرانية أن تضمن استقرار المنطقة وتحمي المصالح الحيوية لأمريكا... ولذلك فإن ثمن الإطاحة بالشاه كان باهظا للغاية بالنسبة للشعب الأمريكي». (هايزر، ١٣٦٥، ص ١٤١).

قبل وقت قصير من اندلاع الثورة الإسلامية في إيران، أي في ٣١ ديسمبر/كانون الأول ١٩٧٧، قال الرئيس جيمي كارتر، وبالحصول على موافقة

مجتمع الاستخبارات الأمريكية، «إن إيران، بفضل القيادة العظيمة للشاه، لقد أصبحت جزيرة استقرار في واحدة من المناطق الأكثر اضطرابا في العالم.» كما أبلغت وكالة المخابرات المركزية CIA كارتر في أغسطس ١٩٧٨ أن إيران لم تكن في حالة ثورة أو حتى «ما قبل الثورة». ولكن بعد ستة أشهر، تمت الإطاحة بحكومة الشاه واستولى الثوار المؤيدون للإمام الخميني على السلطة. واعترف رئيس وكالة المخابرات المركزية لاحقًا بأن الوكالة لم تكن قادرة على التنبؤ بالوضع في إيران لأنه «لم يكن يتوقع أن رجلا يبلغ من العمر ٧٨ عامًا والذي لم يكن في البلاد منذ ١٤عامًا يتمكن من توحيد القوات.» (ناشيونال إنترست، ٢٠٢٢)

لقد أربكت سرعة انتصار الثورة الروحية والإسلامية في إيران القوى المتغطرسة في الشرق والغرب إلى حد كبير. لدرجة أنها أكدت مرات عديدة على عدم التنبؤ بتطورات إيران وعدم القدرة على التعرف على حقيقة الثورة الإسلامية واستيعابها، لكن حتى فوكو امتنع عن إجراء تحليل مفصل للثورة الإسلامية. هو رافق الثورة فيما يتعلق برفض الغرب الموجود وانتقاد الحداثة. لكن في فترة استقرار الثورة، بدأ ينتقد الثورة الإسلامية وخاصة بازركان، وإلى حد ما انفصل طريقه عن الثورة الإسلامية.

إمام الثورة، والقوة الروحية للثورة الإيرانية

وأقر الإمام الخميني في رسالته التاريخية للشعب الإيراني بالعامل المهم المؤثر على الانتصار، قائلا: «أحسنتم على قوة الإيمان وقوة سواعد الأعزاء، وأحسنت فوق الألف للأمة التي أنقذت نفسها وشبابها من الوحل وبؤرة الفساد والظلام الذي أوجد لهم النظام القمعي للشاه، وأوصلوا أنفسهم إلى قمة العظمة والروحانية. (الامام الخميني المجلد ١٨:ص٣٢٦)

ويقول الإمام الخميني: «إن هذه ظاهرة عالمية. والحقيقة أن البشرية اليوم تنهي عصر فصل المادية عن الروحانية. وفي كل مكان، تجد المادية مكانها في السمو الروحي للإنسان.

المادية التي يمكن تلخيص معناها في اكتساب القوة المادية بأي وسيلة وبأي طريق، قد جعلت العمل الإنساني يواجه طريقاً مسدوداً، والآن حان الوقت لاعتبار النشاط المادي بمثابة الجهوزية بغية الارتقاء الروحي للإنسان، وهذا هو التصور الذي يرجع الإنسانية اليوم وغداً إلى الدين. الإسلام دين يفتح الطريق للارتقاء الروحي للإنسان من خلال تنظيم الأنشطة المادية. (الامام الخميني، ١٣٥٧، المجلد ٤)

كما قال قائد الثورة عن القوة الروحية للإمام الخميني (ره): توجد نقطة فيما يتعلق بروحانية الإمام الخميني، وهي النقطة الأهم في حياة الإمام، وهي التوجه إلى الله وطلب العون منه. إن الصفات التي كان يتمتع بها الإمام (ره) كانت كافية لتعريف شخص عادي بشخص عظيم. وكانت الإرادة والعزيمة والعلم والشجاعة والإخلاص والصراحة والتقوى والورع من أبرز سمات الإمام. فإذا غرس كل واحد من هذه وحدها في الإنسان العادي، فإنه سيجعل منه إنساناً عظيماً. والنقطة الأساسية هي أنه لو لم يكن هناك عنصر العبودية والإخلاص في مجموعة القيم التي شكلت الشخصية الروحية للإمام (ره) لما حقق هذه النجاحات. لذلك، فإن الأعمال التي يتم القيام بها أعظم بكثير من أن تتمكن شخصية تتمتع بكل تلك الخصائص - ما عدا العلاقة مع الله – من القيام بهذه الأعمال. الإمام الذي استطاع أن يخلق هذه الحركة العظيمة في العالم كان لأنه يتمتع بعلاقة مع الله ولم يكن له تحفظ تجاه أي شيء في هذا الطريق. واليوم، وهو ليس بيننا، تدفق سيل الاعترافات والمجاملات، واعترف العالم كله بحركته العظيمة التي حركت محيطا من الناس. ولم يتم هذا العمل العظيم إلا في ظل العزيمة والإرادة والذكاء والشجاعة وحدة النظر والبصيرة؛ ولم تكن هذه الصفات قادرة على ايجاد هذه العاصفة الضخمة؛ وكان العنصر الأساسي هو التواصل مع الله وطلب العون منه مما خلد اسم الإمام (ره) وأعماله في التاريخ. (الخامنئي: خرداد ١٣٦٨)

دراسة أهم مكونات القوة الروحية للثورة الإسلامية

وبشكل عام يمكن القول إن أهم مكونات القوة الروحية للثورة الإسلامية هي: الإسناد الإلهي، والقيادة، والمقاومة ضد متغطرسي العالم، والحرية الروحية، والإرادة الشعبية، وحب الشهادة.

١. معجزة القدرة الإلهية

في الفكر السياسي لقائد الثورة الإسلامية، تتشابك القوة والروحانية، وهذه القضية هي سر النصر النهائي للإسلام والثورة الإسلامية: من أجل الدفاع عن المثل العليا، تحتاج كل أمة إلى تقوية نفسها. . وبطبيعة الحال فإن تعريف القوة من حيث منطق الدين والروحانية يختلف كثيراً عن تعريف القوة في المنطق المادي. المنطق المادي يرى القوة في الأدوات والأجهزة؛ في الذرات، في الأسلحة الكيميائية، في الأسلحة الميكروبية، في مختلف الأجهزة المادية المتطورة. هذه ليست القدرة كلها. معظم القوة موجودة في وجود الأشخاص الذين يريدون استخدام هذه القوة. عندما تمتع جماعة بالنزاهة وتسعى إلى الحقيقة والمثل والقيم السامية، وتكون مستعدة لاستخدام وجودها وإمكاناتها وكل قوتها في هذا النضال، فإن القوة الحقيقية موجودة هناك. المجموعة التي تسعى إلى الحق والقيم الحقيقية لا تستخدم القوة بطريقة حيوانية؛ لا يظلم، ولا يتغطرس، ولا يذل الناس، ولا يتعدى على أراضي الآخرين، ولا يأخذ منهم الأمم ومصالحها وإمكاناتها، ولا يضطرهم ينتمون إليه. هذه هي أخلاق القوة الروحية. القوة المادية لا تحظى بأخلاق. لا يتم استخدام القوى المادية لتحقيق الحق والقيم الحقيقية. منطق أصحاب القوة المادية هو منطق الغابة. ولأنهم يمتلكون القوة المادية، فإنهم يعتبرون أن الحق لهم، فهذا خطأ، وهذه معادلة خاطئة. واليوم يمكنكم أن ترون كيف تتحرك الغطرسة الأمريكية على المسرح العالمي، حيث أظهرت الثورة الإسلامية بطلان تلك

الحكومة الباطلة وانكشف وجهها في العالم اليوم. وما لا تفكر فيه هو حقوق الشعوب والأمم، والأخلاق الإنسانية، واحترام حقوق المظلومين في العالم. والأهم بالنسبة لها هو تحقيق المصالح المتغطرسة. وعندما تستخدم القوة المادية في هذا الاتجاه، فإنها تحظى بقوة؛ لكن لا أمل للفلاح والنصر النهائي له (الخامنئي: تير١٣٨٢).

يقول الامام الخميني عن قدرة الله الخارقة: لا تغفلوا عن الله. لا تجهلوا قوة خارقة، قوة عظيمة. اعتمدوا على تلك القوة. سندكم هكذا قوة. إن سندكم هكذا قوة تعارضكم الآن بكل قوة رغم كل ما تملكه أمريكا من قوة، ومع كل ما تملكه من عتاد، وربما لا توجد قوة أخرى تقف ضدها؛ (الإمام الخميني، بهمن ١٣٥٧).

وفي لقاء خاص قال الإمام لآية الله مظاهري: «أعتقد أن هذه الثورة قامت منذ البداية إلى الآن بيد قدرة الله التي هي فوق كل يد، وأن يد الله ستحفظ هذه الثورة العظيمة» (رجائي، المجلد ٢، ص ١٩٦).

لقد أثبتتم أنه يمكنكم تحقيق أي شيء تريدونه. لقد سطرتم معجزة في العالم، وهي معجزة القدرة الإلهية في البشرية. لقد وقفتم ضد كل القوى التي أرادت ابتلاع إيران والإيرانيين ونهب ثرواتكم فانتصرتم. (الامام الخميني، المجلد ١٦، اسفند ١٣٦٠)

٢. القوة القيادية للإمام الخميني (ره)

إن ماكس فيبر، بصفته المنظر الرئيسي لنظرية القيادة الكاريزمية في كتابه «الاقتصاد والمجتمع»، يشرح هذه النظرية ويشيد علانية بقوة القيادة. ولكن يبدو أن انتماء هذا النوع من القوة القيادية إلى الإمام الخميني غير كاملة، لأنه في مفهوم النظرة الكارزماتية لدى فيبر يكمن نوع من السلطة الحصرية والمركزية، بينما قيادة الإمام (ره) تبرأ من هذه الخصائص. إن قيادة الإمام الخميني كانت نوعاً من

القيادة ذات الإسناد الإلهي والكرامة الإنسانية، وبالطبع هذا الإسناد الإلهي منحه نوعاً من الاقتدار الكارزمي.

كما يعتبر «يرفاند أبراهاميان» أن أحد أسباب تأثير قيادة الإمام والتضامن الكامل من أتباعه هو «أنه كان مظهراً من مظاهر الشجاعة والصدق والذكاء السياسي وبشكل عام تقوى الإمام علي (ع)». (آبراهاميان، ١٣٧٨، ص ٥٣٣).

٣. المقاومة ضد مستكبري العالم

قال قائد الثورة عن الاستكبار في لقاء مع مجموعة من الطلاب: وهذا هو معنى الاستكبار، وهو أيضًا معنى الاستكبار في آية كريمة من القرآن، حيث يتحدث عن المستكبرين، فيقول: «فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ» (فاطر، ٣٥) أي استكبروا أمام النبي وكلمة الحق. ولم يقولوا نحن أعلى؛ بل ترجموا ذلك عملياً على أنهم أعلى، أي أن لهم حقوقًا أكثر أو أن لهم حقوقًا أكثر لأنفسهم؛ يعني نفس الحروب الطويلة التي لا نهاية لها بين جبهة الكفر والعناد والتمرد، وبين جبهة رسالة الحق والروحانية والنور والهدى. الغطرسة تعني هذا. وبطبيعة الحال، في أي وقت ولأي أمة، قد يكون للغطرسة معنى خاص. بالنسبة لنا، الشعب الإيراني، أثناء الثورة وقبل الثورة وبعدها وحتى هذه اللحظة، كان للاستكبار معنى خاص يتمثل في القوى المهيمنة في العالم، والتي تتدخل بقساوة وقوة وبتنمر في شؤون هذا البلد وفي مصير هذه الأمة وأعمالها. بالنسبة لنا، كان معنى الغطرسة هو هذا. وإذا أردنا أن نجد المتغطرسين بين حكومات العالم فلن نواجه أي مشكلة. أي أن الإدارة الأميركية – التي وصفها الإمام بالشيطان الأكبر – استكبرت أمام دعوة الشعب الإيراني الحق. إن الغطرسة التي تشكلت في عصرنا هي الغطرسة الأمريكية. هكذا كان الحال قبل الثورة. وهو نفسه أثناء الثورة وحتى اليوم (الخامنئي: آبان ١٣٧٥).

وتأكيداً على دور الروحانية المقترنة بالمقاومة ضد الاستكبار العالمي يقول قائد الثورة: إن الصورة العالمية والدولية للثورة هي التعبير عن رسالة الروحانية على المستوى العالمي. العالم مليء بالمادية. إن أيادي الزعماء والشبكات الأخطبوطية المادية دفعت العالم نحو المادية وأغرقت الأمم في مستنقع المادية منذ قرن أو قرنين من الزمن. إن العالم اليوم في توجهه وما تتنبأ به القوى والحكومات عنه، ليس فقط لا يخلو من أي جوانب روحية، بل إنه يتجه نحو المادية ويحرم الناس من الروحانية. السبب الذي يجعلكم ترون أنه في العديد من البلدان، سئمت الأجيال الشابة، وازدادت معدلات الانتحار، وتفككت الأسر، وتشرد الشباب، وهذا يرجع إلى الافتقار إلى الروحانية. بالنسبة للإنسان، الروحانية هي الغذاء والتغذية الروحية. هل يمكن للإنسان أن يعيش مرتاحاً لفترة طويلة دون روحانية؟ حيثما يوجد المزيد من العلوم والحضارة المادية، هناك المزيد من الارتباك. وهذا أيضًا بسبب خطيئة إزالة الروحانية من مسرح حياة شعوب العالم من قبل القوى العالمية. إن رسالة الثورة الإسلامية هي رسالة الروحانية، والاهتمام بالروحانية، وإدخال عنصر الروحانية في حياة الإنسان، والاهتمام بالأخلاق والله. أينما دخل اسم الإمام ورسالته، كان يجلب الروحانية هناك. وحتى لو نظرتم إلى المجتمعات المسيحية وغير الإسلامية التي رحبت بالثورة الإسلامية، وأخذت منها العبرة، واستفادت منها، فسوف ترى الروحانية هناك. إن بصمة ثورتنا الإسلامية العظيمة هي الروحانية، وهذه الروحانية هي الرسالة الأولى لهذه الثورة والإمام الروحي؛ إمام كان هو نفسه شخصًا نبيلًا وروحيًا، وعارفا، وفقيهًا، وعالمًا بالدين، ومتعبدا، وقائمًا بالليل. وكان الإمام الذي يطبق الخلوة مع الله في جوف الليل وتضرع إلى الله». (الخامنئي، خرداد ١٣٧٤).

كما يقر: إن حقيقة شهرة نظام الجمهورية الإسلامية في العالم والتي تقف ضد

إرادة القوى وخاصة ضد إرادة الولايات المتحدة ولا تلتفت إلى إرادتها المتغطرسة، ترجع إلى الروح الأساسية لثورتنا العظيمة التي تقوم على أنها كانت ضد التبعية وعلى الطريق إلى استقلال هذا الشعب. على هذا الأساس قام نظام الجمهورية الإسلامية، ولا يزال كذلك إلى يومنا هذا بفضل الله. هذا هو الصورة الداخلية للثورة. لكن ثورتنا العظيمة، مجال نفوذها لا يقتصر على داخل إيران. لقد أراد العدو أن يتعرض الشعب الإيراني للانقسام بعد الثورة أو بعد الحرب أو بعد وفاة الإمام وتبدأ الحرب الأهلية ويضرب ويقتل الناس بعضهم البعض. فيقول الاستكبار للمسلمين: «انظروا! هذا هو الشعب الإيراني! هذه هي الثورة الإسلامية! انظروا!» ولكن تنظر الأمم، وترى هذا الوضع؛ ولذلك يتجهون إلى الإسلام. الصحوة الإسلامية والعودة إلى الإسلام تتزايد يوما بعد يوم. إذا أردتم أن يتجه الإسلام نحو الأمام أكثر فأكثر وتعم الصحوة الإسلامية العالم الإسلامي؛ إذا كنتم تريدون أن تتجه الدول غير الإسلامية إلى الروحانية وتجد الطريق الصحيح للحياة، عليكم أنتم، الشعب الإيراني، أن تحترموا دائمًا نفس المبادئ التي احترمتموها حتى اليوم» (المرجع نفسه).

٤. الحرية الروحية

لقد كانت الحرية أحد أهم شعارات الثورة الإسلامية، وهذه الثورة الإسلامية هي نتاج العودة إلى الوعي الذاتي التاريخي للشيعة ونتيجة الحرية الروحية للإنسان. ومن المكونات الأصلية لهذه الثورة هي الحرية الروحية والاهتمام بالتغلب على قوى الشر والنفس.

يقول الشهيد مطهري: «ماذا تعني الحرية الروحية؟ فالحرية تحتاج دائمًا إلى جانبين، بحيث يكون الشيء متحررًا من قيود شيء آخر. بالنسبة للحرية الروحية، ما الذي يريد الإنسان أن يتحرر منه؟ والجواب هو أن الحرية الروحية، على عكس الحرية الاجتماعية، هي حرية الإنسان من نفسه. الحرية الاجتماعية هي تحرر الإنسان من

عبودية الآخرين، أما الحرية الروحية فهي نوع خاص من الحرية، وهي في الحقيقة حرية الإنسان من عبودية نفسه. (مطهري، ١٣٨٧: ٢٤) يقول الأستاذ المطهري: «يصبح الإنسان أسيراً لنفسه، ويصبح عبدا لنفسه. للإنسان رتبتان أو درجتان: الدرجة الدنيا، والدرجة الحيوانية، والدرجة العليا والدرجة الإنسانية. لقد جاء الأنبياء ليحافظوا على الحرية الروحية للبشرية، أي ألا يتركوا كرامة الإنسان وإنسانيته وعقله وضميره تقع في أيدي شهوة الإنسان أو غضبه أو أنانيته». (المرجع نفسه: ٣٠) وفي موضع آخر يقول: «إن أعظم خطة الأنبياء هي الحرية الروحية. تزكية النفس تعني الحرية الروحية على الإطلاق: قدْ اَفْلَح مَنْ زَكّاهَا. وقد خاب من دساها (شمس:٩-١٠). وأكبر الخسارة في عصرنا أنهم دائما يقولون الحرية، ولكنهم لا يتحدثون إلا عن الحرية الاجتماعية، لم يعودوا يتحدثون عن الحرية الروحية، ولهذا السبب لم يصلوا إلى الحرية الاجتماعية أيضًا». (المرجع نفسه: ٣٧)

ويعتبر آية الله خامنئي الحرية «هبة إلهية وهبة الثورة». ووفقا له، «الحرية عائدة للشعب وهي جزء من طبيعة الناس» (خامنئي، فروردين ١٣٧٨). وفي وجهة نظره، ونظراً للأهمية الكبيرة لمفهوم الحرية، فإن مسألة الحرية هي «أن تمنح، وأن تأخذ، وأن تتعلم». إن منح الحرية يعني أن المسؤولين الحكوميين لا يستطيعون حرمان أي شخص من حقه الطبيعي في حرية الحريات القانونية فحسب، بل يجب عليهم ضمان ذلك على أساس «الواجب والمسؤولية». إن أخذ الحرية يعني أن كل إنسان فهيم وواع في المجتمع يجب أن يكون على دراية بـ «الحق في الحرية وحدودها، ويطالب بها ويريدها». ومع ذلك، فإن الحرية التعليمية تعني أن الحرية لها «عادات وثقافة يجب تعلمها». والحقيقة أنه بدون ثقافة الحرية وادبياتها، لن تتحقق هذه النعمة العظيمة لأي شخص أو مجتمع. وبحسب اعتقاده، فإن عدم الإلمام بثقافة الحرية يؤدي إلى الفوضى ويسفر في النهاية عن «تعطش الناس إلى

دكتاتورية قوية» (الخامنئي، آذر ١٣٧٩). في فكر الإمام الخامنئي، فاستيعاب مسألة الحرية لها صلة وثيقة بالاستقلال. وبحسبه فإن ما يميز العصر الجديد الذي خلقه الإمام الخميني (ره) على المستوى العالمي هو «التعبير عن مبدأ التحرر من الهيمنة والاحتلال وتأثير الثورات الكبرى». وبمعنى آخر، نفس الشيء الذي عُرف في ثورتنا بـ «مبدأ لا شرقي ولا غربي» (الخامنئي خرداد ١٣٦٩). ومن هذا المنطلق، حسب اعتقاده، فإن الحاكم الإسلامي مسؤول عن القضايا المهمة للمجتمع... وأيضا عن «الحفاظ على استقلال البلاد وصون حرية الشعب» ضمن الحدود التي أقرها الإسلام (الخامنئي، اسفند ١٣٨١). وفي هذا الصدد، وبحسبه أنه لا ينبغي الخلط بين الحرية في نظام الجمهورية الإسلامية والحرية الغربية؛ «الحرية الإسلامية هي حرية اجتماعية، وحرية روحية، وحرية فردية بشروط إسلامية وبالفهم والتوجيه والتعريف الإسلامي» (الخامنئي، خرداد ١٣٨١). وآية الله الخامنئي عندما يشرح بشكل تفصيلي مسألة الحرية في الإسلام، يلمح إلى المعنى الغربي للحرية. ووفقا له، «في الغرب، حد الحرية هو المصالح المادية». وفي الواقع فإن حدود الحرية في الليبرالية الغربية هي حدود مادية وليست حدودا أخلاقية؛ ومع ذلك، في الإسلام، تحظى الحرية بالحدود الروحية بالإضافة إلى الحدود المادية، (خامنئي شهريور ١٣٧٧). وعلى حد قوله فإن الحرية في الغرب يصاحبها الاضطهاد والسفور والانحطاط (الخامنئي ١٣٧٩/٢/٢٣). ووفقا له، في منطق الديمقراطية الليبرالية، كلما تطلبت مصالحه المادية ذلك، فهو مستعد «لدوس حرية الناس وحياتهم وحقهم في الاختيار بسهولة» (الخامنئي فروردين ١٣٨٢).

٥. الإرادة الشعبية

يقول الامام الخميني (ره): هنا تحكم أصوات الأمة. وهنا الأمة هي التي تتولى الحكم، وهذه الأجهزة عينتها الأمة، ولا يجوز لأحد منا أن يخالف حكم الأمة.

(الامام الخميني المجلد ١٤ ص١٦٥) وبعد تولي النظام الجمهوري قال: الآن بعد أن أصبحت الجمهورية الإسلامية نظامنا الرسمي، يجب علينا جميعا أن نعمل وفقا لمبادئ الجمهورية الإسلامية. الجمهورية الإسلامية تعني النظام القائم على إرادة الشعب. والأحكام هي أحكام الإسلام... والآن نظامنا الرسمي هو الجمهورية الإسلامية، الأمر رهين بأن تصبح الأحكام أحكاماً إسلامية. (الامام الخميني المجلد ٨ ص٢٨١) وقال في موضع آخر: نحن خاضعون لأصوات الأمة. ومهما صوتت أمتنا سنطيعهم، ليس لنا حق، فالله عز وجل لم يعطنا الحق. ولم يعطنا نبي الإسلام الحق في فرض شيء على أمتنا. (الامام الخميني المجلد ١١ ص٣٤)

بل إن الأجواء الروحية مفيدة لإدارة هذه الدنيا بالنسبة لأي بلد، وقد جاء ذلك بفضل الثورة في بلادنا، واليوم أصبح جو بلادنا مفعماً بالروحانية إلى حد كبير. لذلك يمكنك أن ترى كيف تسير الجماهير في الساحة بروح وابتهاج عندما يصل دور تواجد الناس! ما هو دافع الناس، هل هناك شيء باستثناء العامل الروحي؟ لقد نجح الشعب الإيراني بقوته في إرباك عدوه. فلا تنظروا إلى تصريحاتهم؛ التصريحات التي تقال أحيانًا باقتدار قد يخيف البعض. والحقيقة غير ذلك. الأمة حية؛ الأمة مؤمنة؛ القلوب مع الإسلام؛ القلوب مع الإمام. وحتى اليوم لم تتمكن أي قوة من إفراغ قلوب الناس من حب الإمام وذكر الإمام وإجلال وتكريم الشهداء والاستشهاد وقيم الثورة. من وجهة نظر شعوب العالم والمحللين والساسة في العالم، فإن توجه المزيد من الناس نحو صناديق الاقتراع والتصويت خلال الانتخابات فهذا يجعل النظام قويًا. وهذه علامة على قوة النظام؛ والحمد لله، لقد أظهرنا ذلك دائماً في مختلف الانتخابات التي أجريناها في هذه السنوات المتتالية، وسطر الشعب حضوراً قوياً. (الخامنئي، بهمن ١٣٧٨)

موضوعنا الأساسي هو موضوع الناس. حضور الناس، رغبة الناس، إرادة

الناس، عزيمة الناس. علينا أن نقول هذا، في كل التطورات والحركات الاجتماعية الكبرى، يكون دور الشعب هو دور المحك. أي أن توسع تطور، واتساع فكرة، واتساع نفوذ مصلح اجتماعي يعتمد على مدى علاقته بالناس. كلما زادت صلته وصلة ذلك التيار وتلك الحركة وذلك التطور مع الناس، زادت احتمالية نجاحه، وإذا انقطع عن الناس فلن يدوم طويلا، ولن يفعل شيئا. بالطبع، في تاريخ بلادنا، لا علاقة لانتقال السلطة، ومجيء السلاطين ورحيلهم، بالشعب، لكن في نفس الأسر الحكومية والملكية التي كانت موجودة عبر تاريخنا، كل منها إذا تمكنت من جعل علاقتها مع الشعب قوية ودافئة وودية بطريقة ما، فازداد استقرارها ونجاحها في إدارة البلاد وفي العزة الوطنية. وإذا انقطع أي واحد منهم عن الشعب، فقدوا كل شيء، وأبرز مثال على ذلك هو سلالة القاجار وسلالة بهلوي سيئة السمعة في هذه الفترات الأخيرة. لدينا تجربة الثورة الدستورية في عصرنا الحديث، وتجربة تأميم الصناعة النفطية. في هذين الحدثين، كان للناس حضور ومشاركة، وكان سبب انتصار الحركتين هو الشعب، لكنهما انفصلا عن الناس. وفي الحركة الدستورية، جاء الإنجليز وركبوا موجات الدستورية بمكرهم وخداعهم، وتنحوا الشعب والزعماء الشعبيين جانباً، وواجهت الدستورية تمر رضا خان.

وفيما يتعلق بصناعة النفط وتأميم النفط في بداية الثلاثينيات في بلادنا، كان الشعب هو الفاعل، وكان الشعب ذا تأثير، وكان حضورهم ناجحاً، لكن لم يمض وقت طويل حتى انفصلوا عن الناس وأداروا ظهورهم للشعب. لقد تولى الانقلاب الأمريكي زمام الأمور وأعاد البلاد إلى الاستبداد مرة أخرى.

في تاريخنا لم يكن هناك حدث مثل انتصار الثورة الإسلامية والأحداث التي تلتها حيث كان للناس دور مباشر فيها. في الثورة الإسلامية جاء الناس، كل الشعب، كل شرائح الشعب، من الحضر والريف، من الرجال والنساء، من الكبار

والصغار، من المتعلمين والأميين، كلهم كانوا حاضرين معًا. ورغم أنهم لم يعتمدوا على القوة، مع أنهم لم يكن لديهم أسلحة، وإذا امتلكوها لم يستخدموها، لكنهم في الوقت نفسه تمكنوا من إسقاط نظام اعتمد على الاستكبار بشكل كامل وسطروا انتصار الثورة. لكن النقطة الأساسية في ثورتنا هي أن دور الشعب لم ينته بانتصار الثورة، وكان ذلك من حكمة إمامنا الجليل والبصيرة العميقة لذلك الرجل الحكيم الروحي الإلهي. هو كان يعرف الشعب الإيراني، وآمن بالأمة الإيرانية، وآمن بصحة الأمة الإيرانية وصدقها وعزيمتها وقدراتها. في تلك الأيام، كان هناك من يقول: جيدًا لقد انتصرت الثورة، وينبغي على الناس العودة إلى منازلهم. وقف الإمام صامدا وأوكل العمل إلى الناس. أي بعد خمسين يوما من انتصار الثورة، أصبح النظام السياسي في البلاد يتحدد من خلال استفتاء الشعب. انظروا إلى الثورات المختلفة لتعرفوا مدى أهمية هذا الكلام (الخامنئي مهر ١٣٩٠).

إن وجود إنجازات عظيمة يدل على قدرة وقوة وذكاء هذه الأمة العظيمة. عندما يلاحظ الإنسان هذا المشهد، فإنه يشبه مشهد مسابقة الرياضيين الأقوياء، والتي فيها جهد ومثابرة وتعب، ولكن بطل واحد ينجح في هذا المضمار، ويفوز، والجميع يرحبوا به ويهنئوه. هذا البطل في هذا المشهد الضخم الذي أمام أعيننا هو الشعب الإيراني. من يرى هذا المشهد ويدرسه بشكل صحيح، يقول أحسنت للشعب الإيراني. تمامًا مثل اليوم، نسمع أصوات أذكياء العالم في نفس البلدان التي تكون أعداء الأمة الإيرانية والمسيئين لها، حيث النخب السياسية، والنخب الأكاديمية، وذوي الحنكة وذوي الخبرة الذين يراقبون الوضع، يقولون أحسنت إلى الأمة الإيرانية. وهذا هو المشهد الذي أمام أعيننا (الخامنئي، فروردين ١٣٩٢).

٦. حب الشهادة

ومما لا شك فيه أن أحد العوامل التي لعبت دورا أساسيا في إحياء هذه القوة الروحية

كانت ثقافة حب الشهادة. إن ثقافة حب الشهادة لقد أحيت الروحانية والألوهية في المجتمع وذلك من خلال إحداث تحول هائل في البعد الفردي والاجتماعي، ودفعت الأخلاق الفردية والدينية والاجتماعية للشعب نحو الوعي والنمو والازدهار وذلك من خلال إحداث تحول داخلي في المجتمع. (دهشيري ١٣٨٠: ص١١١)

وفي تحليله للحرب المفروضة يقول جيمس بيل: في الكفاح من أجل الدفاع عن بلدهم ودينهم وقائدهم وثورتهم، أظهر الشعب الإيراني مرارا وتكرارا رغبته للوصول إلى المستوى الأخير من التضحية بالنفس، أي قبول الموت إذا لزم الأمر. وبهذا المعنى الثقافي، فإن القدرة على التضحية بالنفس يمكن أن تكون في بعض الأحيان أقوى من القدرة على القتل. (بيل، ١٣٦٧: ص ٤٢٠)

يقول الكاتب الأميركي الشهير جون د. ستيمبل في كتابه «بطن الثورة الإيرانية»: «جزء من قوة الإمام الخميني (ره) ناجم من رغبته الشهيرة بالاستشهاد في طريق الثورة الإسلامية. ولو أن وفاة الإمام الخميني كان ستساعد الشاه فإنه لم يكن يخاف من الموت». (ستيمبل، ١٣٧٧: ص ٣٧)

يقول الإمام الخميني (ره): «ظن أعداؤنا أنهم قادرون على جعل الحركة الإسلامية وثورة هذه الأمة باردة وراكدة بمؤامرات الاستنزاف، غافلين عن أن الانتفاضة التي تكون لله والحركة المبنية على الروحانية والإيمان، لن تتراجع. لقد اعتاد الشعب الإيراني الآن على الشهادة والتضحية، ولم يعد يخشى من أي عدو أو قوة أو أي مؤامرة. إن من يخاف هو الذي ليست مدرسته الاستشهاد. (الامام الخميني، ١٣٧٢، المجلد الثاني، ص ١١ – ١٤)

ومن يحمي هذا الوطن لديه هذه المعنوية، وهي معنوية ثمينة جداً، والشهادة والروحانية هي سبب هذه المعنوية، وطالما أن هذه الروح تنتشر فالوطن آمن. وهذه القيم (حب الشهادة) هي التي تنقذ الإنسان من العبودية والتبعية للغرب والشرق وتؤدي إلى الروحانية والقرب من الله. (المرجع نفسه: ١١، ص ٢٦٥ و ٢٦٦)

النتيجة

إن ما يطرح في الخطاب الغربي هو نوعان من القوة: القوة الصلبة والقوة الناعمة، والغرب حقق نجاحا ملحوظا في كلا النوعين من القوة، لكنه يجهل أن للقوة أيضا بعدا ثالثا وهو الروحانية، والثورة الوحيدة التي لديها القدرة على تحدي الغرب هي الاعتماد على هذه القوة الروحية، والتي تحدى الأبعاد الأخرى للقوة ولديها القدرة على تصديرها والاحتذاء بها إلى بلدان أخرى أيضًا. بالطبع، يضع البعض القوة الروحية في فئة القوة الناعمة، ولكن يجب الاعتراف بأن القوة الناعمة للثورة الإسلامية تختلف بشكل باهر مع القوة الناعمة للغرب، ومن الأفضل دراسة هذه المسألة بشكل منفصل بسبب الاختلافات الكبيرة والأصلية في القوة الروحية للثورة الإسلامية. ومن المؤكد أن الثورة الإسلامية تمكنت من إظهار قوتها الروحية للعالم. القوة الروحية التي لم يشهدها العالم من قبل. ومن أهم العناصر التي تمت دراستها في هذه المقالة هي الإسناد الإلهي، والقيادة، والإرادة الشعبية، والمقاومة ومكافحة الاستكبار، والحرية الروحية، وحب الشهادة. لا يترك فوكو مجالاً للشك في أن الثورة الإسلامية هي ثورة بالتأكيد، لكنه في المقاربات السوسيولوجية للقوة يمتنع عن مرافقة الثورة الإسلامية حتى مرحلة الاستقرار. لكنه يؤكد دائما على عنصر الروحانية السياسية باعتباره البعد الرابع للقوة ويعتبرها الحلقة المفقودة في العالم الغربي. المفقود الذي فقد رونقه منذ انفصال الكنيسة عن مشهد السلطة، وانقطعت أخباره في الغرب منذ سنوات. لكن الثورة الإسلامية بشرت العالم بوعد الروحانية السياسية، التي تردد صدها في العالم من خلال الانتصار في ٨ سنوات من الحرب المفروضة، وخاصة في استشهاد الحاج قاسم، الذي ليس له أي معنى سوى تجلي الإرادة الإلهية واليد الخفية للإمدادات من عالم الغيب.

المصادر

١. آبراهاميان، يرواند (١٣٧٨ش)، إيران بين الثورتين، ترجمة أحمد جل محمدي و محمد أبراهيم فتاحي، طهران: دار ني للنشر.

٢. اركلج، ستيوارت (١٣٧٩ش)، أطر السلطة، ترجمة مصطفى يونسي، طهران: دار نشر مركز بحوث الدراسات الاستراتيجية.

٣. بيل، جون (١٣٦٧ش)، الحرب والثورة والمعنويات، التعرف على جوانب الدفاع والعدوان، طهران: أمانة المؤتمر الدولي للعدوان والدفاع.

٤. تاجيك، محمد رضا (١٣٧٧ش)، ثورة ما بعد الحداثة: الثورة الإسلامية من منظور آخر، في «رشفة جارية»، طهران: معهد أبحاث الثقافة والفكر الإسلامي.

٥. تاجيك، محمد رضا (١٣٧٩ش)، ميشيل فوكو والثورة الإسلامية، طهران: معهد بحوث العلوم الإنسانية والتنمية.

٦. خرمشاد، محمد باقر (١٣٧٧ش)، فوكو والثورة الإيرانية، مجلة متين، الدورة١، العدد١.

٧. الخميني، روح‌الله (١٣٧٨ش)، صحيفة الامام، قم: مؤسسة تحقيق ونشر مؤلفات الامام الخميني.

٨. دريفوس، هيوبرت، و رابينو، بول (١٣٧٦ش)، ميشيل فوكو؛ ما وراء البنيوية والتأويل، ترجمة حسين بشريه، طهران: دار ني للنشر.

٩. دهشيري، محمد رضا (١٣٨٠ش)، مدخل إلى النظرية السياسية للإمام الخميني (ره)، طهران: دار نشر مركز وثائق الثورة الإسلامية.

١٠. راجي، برويز (١٣٨٧ش)، خادم سرير الطاووس، ترجمة ح. أ. مهران، الطبعة١٧، طهران: دار اطلاعات.

١١. رجائي، غلامعلي (١٣٩٢ش)، مقتطفات من سيرة الإمام الخميني، المجلد

الثالث، طهران: مؤسسة تحرير ونشر مؤلفات الامام الخميني (ره).
١٢. ستيمبل، جون دي (١٣٧٧ش)، بطن الثورة الإيرانية، ترجمة منوتشهر شجاعي، طهران: دار نشر معهد رساء الثقافي.
١٣. عالم، عبد الرحمن(١٣٨٨ش)، فوكو، مفكر ناقد، مجلة السياسة، دورة ٣٩، العدد ٢.
١٤. فوكو، ميشيل (١٣٧٨ش)، ترتيب الكلام، ترجمة باقر رهام، طهران: داراآكه للنشر.
١٥. فوكو، ميشيل (١٤٠١ش)، إيران، روح عالم بلاروح، ترجمة نيكو سرخوش و أفشين جهانديده، دار ني للنشر.
١٦. فوكو، ميشيل(١٣٧٠ش)، المراقبة والمعاقبة، ترجمة أفشين جهانديده، طهران: دار ني للنشر.
١٧. قمري تبريزي، بهروز (١٣٩٨ش)، فوكو في إيران، ترجمة سارا زماني، طهران: دار نشر ترجمة العلوم الإنسانية.
١٨. مطهري، مرتضى (١٣٨٧ش)، الحرية الروحية، الطبعة ٤٠، طهران: دار صدرا للنشر.
١٩. هايزر، روبرت (١٣٦٥ش)، المهمة الخفية؛ هايزر في طهران، ترجمة سيد محمد حسين عادلي، طهران: معهد رسا للخدمات الثقافية.